المدرسة النظامية

صورة من صور الحياة الثقافية في العالم الإسلامي

خلال العصر الوسيط

د.عصام منصور صالح عبد المولى
جامعة طبرق – ليبيا

ملخص البحث باللغة العربية:

يعد افتتاح المدرسة النظامية بمثابة تتويج لنتائج رقي الحياة العلمية ودليلاً عليه عندما لعبت دوراً بارزاً في الحركة الثقافية بالقرن الخامس الهجري وما بعده، حيث تخرج منها العديد من العلماء الذين طار ذكرهم في الأفاق، وبفتحها تم الاقتداء بها ففتحت العديد من المدارس في مختلف الأقاليم الإسلامية، كما أن فتحها وأنظمتها التي عملت بها ولوائحها ومراسمها، شابهت بعض الجامعات العالمية في وقتنا الحالي، من حيث احتفالية الافتتاح، وطرق التدريس، والدرجات العلمية، والمساكن الجامعية، لذلك نستطيع القول بأن المسلمين قد سبقوا عالم الآن في هذا المضمار.

ملخص البحث باللغة الانجليزية

Regular school completion civilizational achievements of King system, named after him, interested in them, a keen interest in monitoring her and her successful large sums of money, chose her teachers, scientists from the flags of his day, and had their livelihoods generously, and overcame them odds to lead its mission to the fullest, until he became its education of the reasons for confidence learners and teachers alike, in addition to that he held Livings students for full-time for the collection of science, which made it really for everyone and not restricted to one, men and women, poor and rich, not Nganb right if we considered a model for the cultural life of the Muslim world in the Orient during the century fifth calendar.

كثيرة هي الدراسات التاريخية المتعلقة بالحياة الثقافية في العالم الإسلامي في العصر الوسيط، غير ان معظمها دراسات عامة تناولت فترات زمنية طويلة من التاريخ لذلك اتسمت بالعمومية والوصف، مما غاب فيها مناقشة الكثير من القضايا والتفاصيل المهمة، فهذه المدرسة رغم أهميتها في تاريخ الحياة الثقافية خلال القرن الخامس الهجري لم تحظ بدراسة مستقلة، وتنال القدر الكافي من البحث والتنقيب، فالاهتمام بدراسة الجزئيات كفيل بإظهار الكليات بشكل أنجع، لذلك رأيت اختيار موضوعها للدراسة كصورة فرضت نفسها مع انعدام الدراسة حولها، فهي بمثابة تتويج لنتائج رقي الحياة العلمية ودليلاً عليه عندما لعبت دوراً بارزاً في الحركة الثقافية بالقرن الخامس الهجري وما بعده، حيث تخرج منها العديد من العلماء الذين طار ذكرهم في الأفاق، وبفتحها تم الاقتداء بها ففتحت العديد من المدارس في مختلف الأقاليم الإسلامية، كما أن فتحها وأنظمتها التي عملت بها ولوائحها ومراسمها، شابهت بعض الجامعات العالمية في وقتنا الحالي، من حيث احتفالية الافتتاح، وطرق التدريس، والدرجات العلمية، والمساكن الجامعية، لذلك نستطيع القول بأن المسلمين قد سبقوا عالم الآن في هذا المضمار، وهي انجاز حضاري من انجازات نظام الملك وزير السلاجقة [1]، الذي قام باستحداثها في بغداد سنة **458**هـ، وفتح لها عدة فروع في كل من بلخ ونيسابور والموصل [2]، وكانت نظامية بغداد أهمها، وبمثابة الأم لتلك الفروع، ولهذا سُميت بأسمه، لا لأنه فتحها فقط بل لاهتمامه بها اهتماماً بالغاً، عندما رصد لها ولنجاحها مبالغ مالية طائلة، واختار لها مدرسين علماء من أعلام عصره، وأجرى عليهم الأرزاق بسخاء، وذلل أمامهم الصعاب، لتؤدي المدرسة رسالتها على أكمل وجه، حتى صار التعليم بها من أسباب الثقة بالمتعلمين والمعلمين على حد سواء، علاوة على انه أجرى الأرزاق على

الطلاب، للتفرغ لتحصيل العلم، الذي جُعل فيها حقاً للجميع، وليس حكراً على احد، رجالاً ونساء، فقراء وأغنياء، لا نجانب الصواب اذا اعتبرنا المدرسة النظامية نموذج راقي للحياة الثقافية بالعالم الإسلامي في المشرق خلال القرن الخامس الهجري، ولا ننكر ما واجهنا من صعوبات في سبيل إعداد هذا العمل فكان أولها ندرة المادة العلمية، فمعلوم ان مصادرنا التاريخية لم تؤرخ لمثل هذه المواضيع، بإهمالها الحديث عن الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في فصول مستقلة متصلة، الأمر الذي ألجانا إلى توسيع دائرة البحث، وتنويع المصادر لتشمل الأدبية والجغرافية وكتب التراجم، للمشتاته، والحق أن الأخيرة أفادتنا بمعلومات وإشارات قيمة جداً لم تشتمل عليها المصادر الأخرى، جاءت في ثنايا الحديث عن حياة العلماء والفقهاء الذين عملوا في المدرسة كمدرسين، وطلبة وخريجين تلقوا التعليم فيها،وموظفين أُسندت إليهم وظائف أدارية كمراقبة سير العملية التعليمية والأشراف على مكتبتها، غير ان ما يعيبها أنها إشارات مقتضبة لم تكتب بنية التأريخ للمدرسة، الا أنها أسعفتنا في محاولة رسم ملامح صورة لها, أرى أنها تكاد تكون متكاملة، بعد جمعها ووضعها جنباً إلى جنب مع مراعاة التسلسل الزمني، وإن كانت قد كلفتنا وقتاً وجهداً كبيرين لتفرقها في أماكن وصفحات وأجزاء مختلفة، فأدرجناها في صلب الدراسة بشكل علمي سليم. إلى جانب المصادر الأولية السابقة لم نغفل أهمية الدراسات الحديثة، وبخاصة الجادة منها، والتي أرخت لتاريخ الحياة الثقافية خلال القرن الخامس للهجرة، وما بعده وتطابقت زمنياً مع الفترة التي ندرس، فقد تعرضت بالحديث إلى المدرسة النظامية بأحاديث عابرة في مجمل حديثها عن الحركة الثقافية، كان في طليعتها كتاب الدكتور محمد علي أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام،وكتاب الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ

السياسي والفكري للمذهب السني، وكتاب لمحات من تاريخ العرب، لنقولا زيادة، وكتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجورجي زيدان، إلا أن ما يعيب الأخير هو إهماله لتوثيق الكثير من الأخبار والمعلومات، والحق أنها جميعاً ساهمت في إنارة طريقنا، بتسليطها الضوء على مجمل تاريخ الحياة الثقافية في القرن الخامس الهجري، ولا ننكر إفادتنا منها عن طريق مناقشة بعض القضايا التاريخية، وتقديمها اجتهادات أزاحت الغموض عن كثير من المسائل التي ندرسها، مما جعلنا نثق بالعديد من النتائج التي توصلنا إليها.

على كل حال جاء في لسان العرب لإبن منظور تعريفاً للمدرسة في العصور الإسلامية الوسطي بأنها هي البيت الذي يُدرس فيه القرآن [3]، وعرف غيره المدارس في التاريخ الإسلامي مباني تشبه القصور والمساجد، يأوي إليها طلاب العلم فتقوم بتثقيفهم فئة من المدرسين والعلماء يجيدون القيام بمهمة التدريس، وتتميز دراستها عن الدراسة الكتابية والمسجدية بالتعليم العالي، والوعظ الممزوج بالتعليم عن طريق المساءلة والمجاوبة [4]، فالتعليم قبل بنائها كان يتم في المساجد، في حلقات لتدريس العلوم الدينية بين أوقات الصلاة، ومع ازدياد عدد المتعلمين ازدحمت بهم المساجد، فُخلق ذلك نوعاً من التشويش بين المصلين والطلاب، لذلك دعت الحاجة إلى أنشاء مدارس مستقلة عن المساجد، فبدأ العمل في بناء ووضع حجر الأساس للمدرسة النظامية في بغداد سنة **458**هـ [5]، على الضفة اليسرى لنهر دجلة [6]، وتم الانتهاء من بنائها سنة **459** هـ، امتازت بالفخامة والجمال وكثرة الرخام المستخدم في البناء، شارك في بناءها معماريين من العرب والفرس [7].

وعند افتتاحها أقيم لها حفل بالمناسبة، وعُهد بالتدريس فيها لشيخ يدعى أبو إسحاق الشيرازى [8]، واهتم بها نظام الملك اهتماماً بالغاً، حتى انه انفق عليها

كل غال ونفيس، فأشترى ضياعاً وخانات وحمامات، وبنى حولها الأسواق، وجعل إرباح كل ذلك وقفاً عليها، وجعل التعليم فيها مجاناً، بل تعدى ذلك أن جعل لطلابها أرزاقاً كمنح دراسية، بالإضافة إلى المأكل والملبس والمسكن [9]، بل خصص لكل طالب غرفة سكن خاصة به وحده، لتيهئ له المناخ المناسب لتحصيل العلم، وجعل لكل طالب أربعة أرطال من الخبز يومياً [10]، أي ما يعادل **8** كيلو جرام، وبهذا توفرت لها إمكانيات لم تتوفر لغيرها من المدارس، فوصلت ميزانياتها **600** ألف دينار سنويا [11]، وهو مبلغ كبير جداً .

نظم التعليم بالمدرسة النظامية :

نُظمت لها هيئة تدريس من أفضل العلماء في ذلك العصر، شملهم تقريب وعطف نظام الملك وأجرى عليهم الأرزاق بسخاء، وكان لكل واحد منهم حلقة خاصة، لها وقتها المحدد ومادتها العلمية المحددة، والطريقة المتبعة أشبه بالمحاضرات، حيث يقف المدرس والطلاب أمامه جالسون على مقاعد، يستمعون، وما أن ينتهي من محاضرته حتى يتوجه إليه الطلاب بالأسئلة، فيجيبهم حتى يحين المساء، وينتهي الدرس [12]، وقد تنوعت المواد الدراسية فكانت دينية ولسانية وفقهية، وكان يدرس المذهب الشافعي مع علم الخلاف بينه وبين المذاهب الأخرى، وتدرس اللغة العربية والنحو والصرف، والتفسير بفروعه، بالإضافة إلى الوعظ [13].

ولتتم الفائدة من العملية التعليمية تم مراعاة الاختصاص في تدريس العلوم، وأُسندت المواد العلمية لأهل الاختصاص، فأُسند تدريس اللغة العربية من نحو وصرف إلى أحد أئمة اللغة، وهو ابن الخطيب التبريزى المتوفي سنة **502** هـ [14]، وأُسندت من بعده لأستاذ أخر يعرف بالفصيحى، كان اعلم أهل زمانه بهذا العلم [15]، امتاز بحسن الخط وجودته، ت : سنة **516**هـ [16]، واختص

بتدريس مادة الفقه فيها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي [17]، أُسندت إليه رئاسة النظامية أول افتتاحها، فقام بتدريس الفقه حتى وفاته سنة **476**هـ [18]، عن عمر يناهز **83** عاماً، وأقيم عزائه بالمدرسة تكريماً له، وصلى عليه الخليفة العباسي المقتدى بأمر الله [19]، وببلوغه لهذا السن نفهم بأنه لم يحدد رسمياً سن معين يحال صاحبه إلى التقاعد .

ولإنجاح العملية التعليمية بهذه المدرسة، خصص لها نظام الملك ما هو أهم، الا وهي المكتبة، التي كانت تعرف بخزانة الكتب، فقد حوت كل نادر ونفيس من المؤلفات والمخطوطات، جمع فيها مختلف الكتب العلمية والفقهية النفيسة، وجعل عليها خزنة ومشرفون، يتعاهدونها بالحفظ والعناية، ولم يكونوا على درجة عالية من الإدارة فقط وإنما أيضاً على درجة عالية من العلم والمعرفة [20]، هذا وقد رتُبت لها قاعات للمطالعة وأخرى للنسخ مزودة بالحبر والورق، ونظراً لما حوته المكتبة من كم هائل من المجلدات، التي بلغت ستة آلاف مجلد اشتملت على فهارس شاملة ودقيقة [21]، ويبدو ان محتوياتها كانت في ازدياد بفضل ما كان يوقفه عليها العلماء والخلفاء من نفائس الكتب، كتلك التي أهداها إليها الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وصلت إلى ألوفاً من الكتب النفيسة [22]، وغيرها من الكتب النادرة كتلك التي زودها بها العالم الفقيه عبد السلام بن بندار القزويني، ت : **488**هـ متمثلة في كتاب عن غريب الحديث، يقع في عشر مجلدات، قيل لم يكن لأحد مثلها [23]، بل هناك من كانت هديته للمكتبة خزائن كاملة للكتب تُمنت بألوف الدنانير مثل المؤرخ محب الدين بن النجار، المتوفى سنة **643**هـ [24].

شروط القبول لالتحاق بالنظامية :

لم يكن التعليم فيها حكراً على فئة معينة من الناس، بل كانت أبوابها مفتوحة لمختلف طبقات مجتمع العالم الإسلامي، فلا فرق بين غنى وفقير، مشرقي أو مغربي، فجمعت بينهم رابطة الثقافة الإسلامية، الا انه أشترط في قبول الطالب أن يكون على المذهب الشافعي [25]، احد المذاهب السنية الأربعة، وهو المذهب الرسمي للدولة وقتها، ولم تكن النساء بمعزل عن التعليم بالنظامية، ففي سنة **486** هـ قدم إلى بغداد احد الوعاظ، يدعى أبو الحسين العبادي الواعظ، وجلس في النظامية للوعظ، فكان يحضر مجلسه **30** ألفاً من الرجال والنساء، ومن بينهم الغزالي الذي تولى رئاسة النظامية سنة **484** هـ [26]، وهذا العدد يدل على مدى إقبال الناس على العلم أولاً، وعلى ضخامة مباني المدرسة النظامية ثانياً، واستقبال النظامية لهذا الواعظ وجلوسه بها يدل على نظام معروف في وقتنا الحالي، بنظام الأستاذ الزائر، الذي تدعوه إحدى الجامعات للتدريس فيها مدة زمنية معينة، ونظراً للخدمات التي كانت تقدمها المدرسة النظامية، كالعطاء السخي للأساتذة ، والخدمات للطلبة، زاد الإقبال عليها، لدرجة أن بعضهم تخلى عن مذهبه، واتبع المذهب الشافعي، مذهب الدولة الرسمي، وقد عبر احد الشعراء عن هذه الظاهرة بقوله :

ومن مبلغ الوجيه عنى رسالة وان كانت لا تجدي لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعـــــوزتك المأكـل
وما اخترت رأى الشافعي تديناً ولكنما تهوى الذي هو حـاصل
وعما قليل أنت لاشـك صـائر إلى مـــالك فافطن لما أنا قـائل .

يقصد بهذه الأبيات نحوي اسمه الوجيه ابن مبارك الواسطي، تحول عن مذهب الإمام ابن حنبل أبى مذهب أبى حنيفة ثم أبى المذهب الشافعي، فاعتبر تصرفه هذا غير خالص لوجه الله إنما لطلب العز والجاه [27].

أهداف المدرسة النظامية :

رسم لها نظام الملك هدفاً وسعى إلى تحقيقه، وهو تقوية المذهب السني الشافعي لمواجهة خطر الدعاية الفاطمية الشيعية [28]، والحد من انتشار مذهبهم عندما اتخذوا من الأزهر بمصر مركز لبث دعايتهم، ونشر فكرهم [29]، ورأى أن الدواء يجب أن يكون من جنس الداء، بأن يقرن مقاومتهم سياسياً بمقاومة فكرية مضادة، لان الدين في ذلك الوقت كان وسيلة قوية لهدم مُلك وإقامة أخر مكانه [30]، لذلك كانت الباطنية [31] بالأزهر تضع طلابها في حالة شك لكل فكر ديني سائد [32].

ولتحقيق هدفه قرب إليه علماء عصره، وانفق عليهم بسخاء، وفتح المدارس لهم، وحاول التوفيق بين علم الكلام وتفكير السنة،أي بين المذهب الشافعي والأشعري [33]، ذلك لان الاشاعرة هم الأقدر على القيام بهذه المهمة، فلم يقفوا عند ظاهر النصوص، بل اعملوا العقل في تفسيرها، لإثبات وحدانية الله، وفقهاء المذاهب السنية وخاصة المالكية قالوا بأن الرأي والجدل في العلم يذهب بنور الله في القلب، ووقفوا عند حافة النصوص، فحصل عند بعضهم نوعاً من الجمود، بل كثيراً ما تمسكوا بالفروع وتركوا الأصول [34]، فوقعوا في التشبيه [35].

لذلك كان الاشاعرة الأقدر على مواجهة الشيعة الباطنية، ومقارعة الحجة بالحجة، ومواجهة كل محاولات التخريب العقائدي من قبل أعداء الإسلام،

ففسروا النص القرآني في ضوء العقل، بإنهاض الدليل العقلي إلى جانب الدليل النقلي، بغية تعزيز صلة الإنسان بالله عز وجل .

ولتحقيق أهداف النظامية فتح لها عدة فروع، وُزعت توزيعاً جغرافياً في المناطق التي تتجمع فيها الشيعة بأعداد كبيرة، مثل البصرة والجزيرة الفراتية ونيسابور [36]، وهى مناطق انتشرت فيها الدعوة الفاطمية قبل وصول السلاجقة إلى الحكم في بغداد، أيام بني بويه الشيعة، وبفتح النظامية وفروعها بدأ العمل على اقتلاع فكرهم ودعوتهم من جذورها، بتحويل هذه المناطق لمذهب السنة .

بذلك نرأى أن نظام الملك اتخذ من المدارس وسيلة دفاع، مزج فيها الدين بالسياسة والتقرب إلى الناس [37]، سبيله في ذلك السيطرة على نفوس العامة تحت اسم الدين، لأنها إذا دعت إليه كانت اشد استجابة من أي دعوة أخرى [38]، ولان المذاهب الدينية كانت تمثل في جوهرها مذاهب سياسية، وربما يكون ذلك هو السبب الحقيقي لإنشاء المدارس النظامية، وأياً ما كان الحال فقد لعبت هذه المدرسة دوراً بارزاً في الحركة الثقافية والفكرية في القرن الخامس الهجري وما بعده .

دورها في الحركة الفكرية والعلمية :

نظراً لما توفر لها من إمكانيات مادية لم تتوفر لغيرها من المدارس، واهتمام الدولة منقطع النظير بسير وانتظام الدراسة بها، وتذليل الصعاب أمام الطلاب والمدرسين، تخرج منها أعداد كبيرة من الخريجين، انتشروا في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، وحملوا الفكر السني إلى مناطق نائية بعيدة عن بغداد، كالمغرب الأقصى، والأندلس، وسمرقند [39]، وهؤلاء بدورهم بنوا مدارس خاصة بهم، لتدريس المذهب الشافعي، وحاربوا الاتجاه السلفي الذي أدى اغلب الأحيان للوقوع في التشبيه، والتصدي لعمليات التخريب العقائدي .

هذا ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل استطاع احد تلاميذ هذه المدرسة، ويدعى عبد الله ابن تومرت، أن يؤسس دولة على المذهب الشافعي بالمغرب والأندلس [40]، ونهى عن الجمود الذي وقع فيه المرابطين الذين كانوا على المذهب المالكي [41].

زد على ذلك أنها أحدثت ثورة تعليمية في العالم الإسلامي حيث اقتدى بفتحها الأمراء المسلمين بفتح العديد من المدارس، حتى وصلت **30** مدرسة في بغداد وحدها سنة **580** هـ، وهذا ما وصفه لنا ابن جبير خلال رحلته إلى بغداد بقوله : " والمدارس بها نحو **30** مدرسة، وما منها مدرسة الا وهى كالقصر البديع، أشهرها النظامية، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسه ..." [42] بالإضافة إلى أنها أصدرت العديد من المؤلفات في الفكر الإسلامي، ورسائل علمية، ففندت أراء الحركات المعادية للإسلام، وتنقية العقيدة من الشوائب التي علقت بها، ولنا هنا وقفة مع احد أصحاب تلك المؤلفات، الا وهو احد مدرسي النظامية أبو حامد الغزالي المتوفى سنة **505** هـ، تولى التدريس بها، وانتهت إليه رئاستها سنة **484** هـ [43]، ويعده المؤرخين بإجماع أشهر مفكر مسلم، بل أعظم مفكر أنجبته الحضارة الإسلامية، كان شديد الذكاء، من أسرة فقيرة، توفى أبوه وتركه في رعاية صديق له، فلم يستطع إعالته طويلاً، فالتحق بنظامية نيسابور، يطلب العلم ليحصل على قوت يومه [44]، فنبغ وتفوق على زملائه، فقربه إليه نظام وأكرمه وبالغ في أكرامه، واسند إليه رئاسة النظامية سنة **484**هـ، وعظمت مكانته حتى بلغت منزلة الملوك [45]، وأقبلت عليه الدنيا وأجريت عليه الأرزاق بسخاء، ووجدوا فيه صوتاُ قوياً لدعم المذهب الشافعي، المذهب الرسمي للدولة، فألف العديد من الكتب للدفاع عنه، فأقبلت عليه الدنيا واقبل عليها، لكنه ترك هذا الجاه والعز فجأة، وكانت أمامه فرقاً كثيرة متناحرة متباينة

الآراء والأهواء، وأدرك أن تدريسه بالمدرسة النظامية ونشره للعلم ليس لوجه الله، وإنما لطلب العز والجاه، وفي ذلك يقول عن نفسه : " ثم تفكرت في نيتي للتدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه "[46]؛ واخذ يبحث عن الحق بين هذه الفرق، وأصبحت شغله الشاغل، وفحص أراء كل فرقة معتمداً على عقله، كالمعتزلة والباطنية والزنادقة والفلاسفة[47]، ففند تعاليم الفلاسفة وقال أنها مناقضة للعقل، وأرائهم مخالفة للدين، وليس لها أي أساس من الصحة[48]، ودون ذلك في كتاب سماه : " تهافت الفلاسفة "، فرد عليه ابن رشد بكتاب سماه : " تهافت التهافت "، قال فيه أن الغزالي أراد الطعن في الفلاسفة لتزداد فيه ثقة أهل السنة فقط [49].

ولما فند الغزالي أراء كل طائفة وسخر من تفكير الفلاسفة، وأدرك انه هالك لا محالة، ترك التدريس بالنظامية وخرج هائماً على وجهه، متنقلاً بين البلدان، ملتمساً للحق، حتى جذبته الصوفية إلى ساحتها، واعتقد بأنها السبيل الصحيح لمعرفة الخالق، وأنها أسهل الطرق وأفضلها لتعزيز صلة الإنسان بخالقه[50]، ومن بعدها اخذ على عاتقه نشر العلم بين الناس، وقول كلمة الحق، وتحول إلى الإصلاح الاجتماعي، فحارب الفساد، حتى أنه كتب رسالة بالفارسية إلى سنجر ابن ملك شاه، حاكم خراسان جاء فيها : " أسفاً أن رقاب المسلمين كادت تنقض بالمصائب والضرائب ورقاب خيلك كادت تنقض بالأطواق الذهبية "[51]، ثم دعا الدولة لحماية إيمان العامة، رافضاً إثارة الشبهة في نفوسهم باستخدام البراهين العقلية[52]، لقلة ثقافتهم، وانقيادهم مع كل فكر وتيار، فاستحق لقب حجة الإسلام، ولذلك كتب إلى احد العلماء، عندما تقرب بعلمه إلى الأمراء، يحذره من تصرفه وتزلفه للملوك، وما يترتب عليه من سلبيات، فقال له : " اتخذوك قطباً تدور عليه رحى ظلمهم وجسراً يعبرون عليه

إلى بلائهم ومعاصيهم، يدخلون بك الشك إلى العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء " [53]

سلبيات المدرسة النظامية :

بما أن الكمال لله وحده، وخلق الإنسان ناقصاً، فكل فعل وعمل له ناقص، ولكل شئ من صنع الإنسان سلبيات وايجابيات، لذلك كان لهذه المدرسة سلبيات وايجابيات، الا أن سلبياتها اقل من ايجابيتها، وأول هذه السلبيات إهمالها تدريس العلوم التطبيقية، كالطب والفلك والرياضيات...الخ، ومع إسرافها في تدريس المذهب الشافعي، همشت المذاهب السنية الأخرى [54]، وبتأسيس النظامية، والاهتمام بها من قبل الدولة رسمياً أصبحت على مستوى عال ـ ضاهت جامعات وكليات وقتنا الحاضرـ لم يكن معها مدارس كالابتدائية والثانوية تغذيها بالطلاب، لوضع الأسس الأولى لها [55] .

عمر المدرسة وزمن اندثارها :

بدأ العمل في بنائها سنة **457**هـ، وفتحت أبوابها سنة **459**هـ، اى منتصف القرن الخامس الهجري، واستمرت حتى نهاية القرن الثامن الهجري، فبعد قرن من افتتاحها زار الرحالة الأندلسي ابن جبير بغداد سنة **580**هـ، ووصف مدارسها التي بلغت **30** مدرسة، بان أعظمها النظامية [56]، ومن بعده بقرن ونصف، أي سنة **727**هـ، زار بغداد الرحالة ابن بطوطة، وذكر النظامية وفخامتها وجمالها [57]، وأخر من أشار إلى وجودها في القرن الثامن الهجري، أي سنة **797**هـ ابن العماد الحنبلي، صاحب كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب [58]، غير انه في الوقت الحاضر اختفت معالمها من بغداد [59] .

"والله الموفق "

قائمة المصادر والمراجع [60]

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم ، ت : **630** هـ ، الكامل في التاريخ ، بيروت ، دار الفكر ، **1978**.
- احمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي، الإسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة ، لا.ت .
- اركون دارول ، تاريخ الجماعات السرية ، ترجمة : عبد الهادي عبد الرحمن ، تانيت للنشر، لا.ت .
- ابن بطوطة ،أبو عبد الله محمد ، ت : **779** هـ ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار صادر ، **1964**.
- ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف أبو المحاسن ، ت : **874** هـ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر، لا.ت .
- ابن جبير، أبو الحسن محمد ، ت : **614**هـ ، رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر، **1964**.
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، ت : **597** هـ

  (1) صيد الخاطر، السعودية، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، لا. ت.

  (2) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر أباد ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، **1359** هـ .
- جورجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ،القاهرة ،مطبعة الهلال ، **1931**.
- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، ت : **656** هـ ، شرح نهج البلاغة، بيروت، دار مكتبة الحياة ، **1964**.
- الحسيني، صدر الدين أبي الحسن، توفي في القرن السابع الهجري،أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق : محمد نور الدين، بيروت، دار اقرأ، **1985** .
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي ، ت : **626**هـ

  (1) معجم الأدباء ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ، **1993**.

(2) معجم البلدان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1979.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ت : 681هـ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، دار صادر ، لا.ت .
- خودا بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة : على حسنى الخربوطلي، القاهرة، دار الكتب الحديثة ، 1960.
- ابن الدبيثى، أبو عبد الله محمد بن سعيد، ت : 637هـ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، بغداد، دار مكتبة السلام، 1974.
- ابن الساعي، تاج الدين علي الخازن، ت : 674هـ، الجامع المختصر في تواريخ عنوان وعيون السير، تحقيق : مصطفى جواد، بغداد، 1934.
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، ت : 771هـ، طبقات الشافعية الكبرى، مصر، مطبعة البابي الحلبي، 1966.
- سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي ، 1986.
- سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، القاهرة ، دار المعارف ، لا.ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت :911 هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت، المكتبة العصرية، لا.ت .
- شتروتمان، " التشبيه "، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1969.
- عبد المجيد أبو الفتوح بدوى، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني ، جدة، دار المعرفة، 1983.
- العماد الحنبلي، عبد الحي احمد بن محمد، ت : 1089هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، لا.ت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، ت : 505هـ

(1) تهافت الفلاسفة، تحقيق : سليمان دنيا، القاهرة، دار المعارف، لا.ت .

(2) كتاب إحياء علوم الدين، تحقيق : محمد عبد الملك

الزغبي، القاهرة، مكتبة التقوى، لا.ت .

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن، ت : 646هـ، انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1986.
- القلقشندى، أبو العباس احمد بن علي بن احمد، ت : 821هـ، صبح الاعشا في صناعة الانشاء، بيروت، دار الفكر، 1987.
- الكتبي، محمد بن شاك، ت : 764هـ، فوات الوفيات،تحقيق : إحسان عباس، بيروت، دار صادر، لا. ت.
- ابن كثير، عماد الين أبو الفداء إسماعيل، ت : 774هـ، البداية والنهاية، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي، القاهرة، دار هجر، 1997.
- محمد التنوخي، حول الأدب في العصر السلجوقي، بنغازي، مكتبة قورينا، 1974.
- محمد علي ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1992.
- محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الإسلام ، لا.ط ، لا.م ، لا.د ، لا.ت ،
- مصطفى الرافعي ، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1978.
- نقولا زيادة ،لمحات من تاريخ العرب ، بيروت ،مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، 1961.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال ، ت : 711 هـ ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، 1955 .
- هودكون ، " الباطنية " ، دائرة المعارف الإسلامية ، القاهرة ، دار الشعب ، 1969.

الهوامش :

[1] **استوزره ألب ارسلان الذي توفى سنة 465 هـ ، ومن بعده ابنه ملك شاه ، توفى سنة 487 هـ ،** الحسيني ، صدر الدين أبي الحسن، توفي في القرن السابع الهجري، أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق : محمد نور الدين ، بيروت ، دار اقرأ ، 1985 ، ص316 .

[2] السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ، ت : 771هـ ، طبقات الشافعية الكبرى ، مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1966 ، ج4 ، ص313 .

[3] ابن منظور ، أبو الفضل جمال ، ت : 711 هـ ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، 1955 ، ج6 ، ص79 ، 80 .

[4] سعيد إسماعيل علي ، معاهد التربية الإسلامية، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1986، ص304 .

[5] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، ت : 597هـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر أباد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1359هـ، ج1، ص238 ؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن الكرم، ت : 630 هـ، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، 1978، ج 8، ص103 .

[6] عبد العزيز الدوري، " بغداد "، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة، دار الشعب، 1990، ج7، ص378 .

[7] محمد التنوخي، حول الأدب في العصر السلجوقي، بنغازي، مكتبة قورينا، 1974، ص121 .

[8] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص105 ، 106 .

[9] جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، مطبعة الهلال، 1931، ج3، ص203، 204 .

[10] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج8، ص246 .

[11] جورجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص204 .

[12] نقولا زيادة، لمحات من تاريخ العرب، بيروت، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى، 1961، ص27 .

[13] جورجى زيدان، المرجع السابق، ج3، ص204 .

[14] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت : 911هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، بيروت، المكتبة العصرية، لات، ج2، ص338 ؛ الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت : 626هـ، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993، ج5، ص2823 ، 2824 ، **هو أبو زكريا يحي بن علي بن بسام الشيباني له العديد من الكتب مثل شرح ديوان المتنبي وشرح المعلقات السبع وشرح المفضليات والكافي في علم العروض والقوافي وإعراب القرآن،** ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، ت : 681 هـ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، دار صادر، لا.ت، ج 6، ص 192.

[15] الحموي، المصدر السابق، ج5، ص1964 .

[16] القفطي، جمال الدين أبو الحسن، ت : 646 هـ، انباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1986، ج2. ص307 .

[17] **هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزا بادي، الملقب جمال الدين كان إمام وقته في بغداد**، ابن خلكان، المصدر السابق، ج1، ص29

[18] نفسه، ج1، ص29 .

[19] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص134 .

[20] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج9، ص161 ؛ الحموي، المصدر السابق، ج4، ص1666، ج5، ص2362 ؛ ابن الساعي، تاج الدين علي الخازن، ت : 674هـ، الجامع المختصر في تواريخ عنوان وعيون السير، تحقيق : مصطفى جواد، بغداد، 1934، ج9، ص160.

[21] ابن الجوزي، صيد الخاطر، السعودية، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، لا. ت، ص366، 367.

[22] ابن الأثير ، المصدر السابق، ج9، ص229.

[23] السبكي، المصدر السابق، ج3، ص230.

[24] الكتبي، محمد بن شاكر، ت : 764هـ، فوات الوفيات، تحقيق : إحسان عباس، بيروت، دار صادر، لا. ت، ج2، ص264 ؛ ابن كثير، عماد الين أبو الفداء إسماعيل، ت : 774هـ، البداية والنهاية، تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركي ، القاهرة، دار هجر، 1997، ج17، ص284.

[25] سعيد إسماعيل ، المرجع السابق ، ص332.

[26] ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف أبو المحاسن، ت : 874 هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة، المؤسسة العربية العامة للتأليف والنشر، لا.ت، ج5، ص186 ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص168 ، 169، **وسيأتي الحديث عنه فيما بعد**.

[27] ابن الدبيثى ، أبو عبد الله محمد بن سعيد ، ت : 637هـ ، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ، بغداد ، دار مكتبة السلام ، 1974م ، ج1 ، ص137 .

[28] عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني، جدة، دار المعرفة، 1983، ص216.

[29] احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، لا.ت، ص181 .

[30] سليمان دنيا ، الحقيقة في نظر الغزالي ، القاهرة ، دار المعارف ، لا.ت ، ص15 .

[31] **الباطنية : ترادف الإسماعيلية ، فرقة من الشيعة ، زعموا بان للنص القرآني تفسيران ، الأول ظاهري والثاني باطني ، لا يفهمه الا الأئمة المعصمون لذلك عرفوا بالباطنية ، وأرادوا بذلك توجيه من يتبعهم**

كيفما أرادوا ؛ انظر هودكون ، " الباطنية " ، دائرة المعارف الإسلامية ،ج6، ص87 ؛ مصطفى الرافعى ، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1978م ، ص17 .

[32] اركون دارول ، تاريخ الجماعات السرية ، ترجمة : عبد الهادي عبد الرحمن ، تانيت للنشر، لا.ت ، ص8 .

[33] بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، بيروت، دار العلم للملايين ، 1988 م ،ص274 ، 275 .

[34] محمد علي ابوريان ، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1992م، ص335 .

[35] **التشبيه : وهو تشبيه الله سبحانه وتعالى بصور مادية، وذلك لعدم إعمالهم للعقل** ؛انظر : شتروتمان، " التشبيه " ،دائرة المعارف الإسلامية ،ج8، ص316 .

[36] عبد المجيد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص216 .

[37] نقولا زيادة، المرجع السابق، ص240 .

[38] سليمان دنيا، المرجع السابق، ص15 .

[39] عبد المجيد ابو الفتوح، المرجع السابق، ص228 ،229 ؛ **سمرقند : بلد يقع فيما وراء النهر** ؛ انظر : الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1979، ج3، ص246

[40] **هي دولة الموحدين شملت المغربين الأوسط والأقصى والأندلس** ، انظر: القلقشندى، ابو العباس احمد بن علي بن احمد، ت : 821هـ، صبح الاعشاء في صناعة الانشاء، بيروت، دار الفكر، 1987، ص191 .

[41] نفسه ،ص191 .

[42] ابن جبير، أبو الحسن محمد ، ت : 614 هـ، رحلة ابن جبير، بيروت، دار صادر، 1964، ص205

[43] ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص216 ،217 .

[44] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد ، ت : 505 هـ ، كتاب إحياء علوم الدين ، تحقيق : محمد عبد الملك الزغبى ، القاهرة ، مكتبة التقوى ، لا.ت ، ج1 ، ص7.

[45] نفسه ،ج1، ص7.

[46] الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، ت : 505 هـ ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق : سليمان دنيا ، القاهرة، دار المعارف ، لا.ت ، ص49 .

[47] نفسه، ص50

[48] محمد لطفي جمعة ، تاريخ فلاسفة الإسلام ، لا.ط ، لا.م ، لا.د ، لا.ت ، ص70 .

[49] نفسه ، ص71 .

[50] محمد على أبو ريان، المرجع السابق، ص375 .

[51] الغزالي، كتاب إحياء علوم الدين، ج1، ص8 .

[52] محمد على أبو ريان، المرجع السابق، ص374 .

[53] ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، ت : 656 هـ، شرح نهج البلاغة، بيروت، دار مكتبة الحياة ،1964 ،ج5، ص33، 32 .

[54] عبد المجيد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص243 ,244.

[55] سعيد إسماعيل، المرجع السابق، ص319 .

[56] ابن جبير، المصدر السابق، ص205 .

[57] ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد ، ت : 779هـ، رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، 1964، ص225 .

[58] العماد الحنبلي، عبد الحي احمد بن محمد، ت : 1089هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، لا.ت، ج6، ص351 .

[59] خودا بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة : علي حسنى الخربوطلي، القاهرة، دار الكتب الحديثة ،1960م ،ص175 .

[60] **ملاحظة : تم استثناء (ال – أبو – ابن) من الترتيب الأبجدي .**